البناء

السنة السادسة / الاثنين / 23 حزيران 2014 / العدد 1516
Sixth year / Monday / 23 June 2014 / Issue No. 1516

قمة السيسي ـ عبدالله: آفاق العلاقات المصرية ـ السعودية

■ حميدي العبدالله

عقدت قمة في طائرة الملك السعودي عبدالله بن عبد العزيز في مطار القاهرة جمعته مع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي. ووضعت هذه القمة في إطار العلاقات الخاصة التي تجمع النظام المصري الجديد مع النظام القائم في المملكة السعودية.

المسألة الملحة من جانب الكثير من المتابعين للعلاقات بين البلدين تكمن في معرفة ما إذا كانت هذه العلاقات ستبقى علاقات استراتيجية ودائمة، أم أنها مجرد علاقات ظرفية، أملتها اعتبارات وتقاطع مصالح سرعان ما ستزول لاحقاً؟

لاشك في أن من السهل تفسير أسباب التقارب الآن بين القيادتين المصرية والسعودية، فالقيادتان يجمعهما العداء لجماعة الإخوان، إذ هناك اقتناعاً عميقاً لديهما أن هذه الجماعة تشكل تهديداً لنظام الحكم في البلدين، إضافةً إلى ذلك مصر تحتاج إلى دعم السعودية السياسي والمالي للصمود في المعركة التي تخوضها ضد جماعة الإخوان التي تحظى بدعم كل من تركيا وقطر. دعم السعودية السياسي يوفر غطاءً للنظام الجديد في وجه أي ضغوط محتملة من الولايات المتحدة كون السعودية حليفة للولايات المتحدة مثل قطر وتركيا، إضافةً إلى ما يمثله هذا الدعم من غطاء أيديولوجي في وجه محاولات تكفير النظام المصري الجديد من جانب ما بات يعرف بتحالف دعم الشرعية في مصر. كما أن مصر التي تعاني من أزمة اقتصادية حادة بسبب الفوضى السائدة منذ مطلع عام 2011 هي بحاجة ماسة للدعم الاقتصادي، والدول الخليجية وحدها القادرة على تقديم هذا الدعم في ظل الأزمة التي تعصف بالاقتصاد الغربي. أما السعودية فتراهن على أن هذا الدعم السياسي والمالي الذي تقدمه يشكل الضمانة للحؤول دون خروج مصر من دائرة السياسات المعتمدة منذ رحيل الرئيس جمال عبد الناصر في عام 1970.

تقاطع المصالح هذا على المدى القريب يفسر العلاقات الإيجابية القائمة الآن بين القيادتين والتي عكستها تصريحات متبادلة عبر عنها السيسي ومسؤولون سعوديون آخرون.

لكن المعضلة الأكبر التي تواجه هذه العلاقات هي على المدى الأبعد، فالحفاظ على استمرار العلاقات الإيجابية مرهون بأن تكون سياسات مصر الخارجية، على المستوى العربي والإقليمي والدولي، مطابقة للسياسة السعودية، ومعروف أن السياسة السعودية الخارجية هي امتداد للسياسة الأميركية، وإذا ما اعتمد النظام الجديد في مصر مثل هذه السياسات فهذا يعني أنه سيعتمد السياسة ذاتها التي كانت معتمدة في عهد مبارك، وتحالفات مصر مع الدول الغربية والدول الخليجية، ستعني استمرار السياسات الداخلية على ما كانت عليه في عهد مبارك أيضاً، وكل ذلك يؤكد أن مصر عادت من جديد إلى الدوران في الفلك الغربي والخليجي، الذي حال في السابق دون اضطلاعها بدور يتناسب مع موقع مصر وحجمها، والذي شهد عصراً ذهبياً في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ولكن الشرط الأساسي لاستعادة مصر للعب مثل هذا الدور مرهون باعتماد سياسات مماثلة لسياسات الرئيس جمال عبد الناصر، فهل العهد الجديد مستعد لمثل هذا الخيار وتحمل تبعاته، ومن أولى هذه التبعات تدهور العلاقات مع الحكومات الخليجية؟ سؤال تصعب الإجابة عليه منذ الآن.

لا حياة لمن تنادي... أم أنّ الأمل موجود؟

■ علي بدر الدين

يبدو أنّ لبنان أخفق أو لم ينجح بعد في منع «تسونامي» الإرهاب من أن تطأ أقدام الإرهابيين أرضه، أياً كانت تسمياتهم وشعاراتهم وأهدافهم فهي خطيرة وقاتلة ومأجورة. وإن حدّ من إرهابهم وجرائمهم غير المسبوقة، والتي لم تشهد دولٍ بصراعاتها وحروبها وعنفها الطائفي والأثني مثيلاً لا سوى في مجتمعات قبلية قليلة غلب فيها التخلف والتحجر، وهي حتماً من خارج الزمان والمكان والحضارات.

وعلى رغم سياسة النأي بالنفس غير المقنعة التي اعتمدتها الدولة في لبنان من خلال حكوماتها، وبعض أقطاب السياسة، على الأقل منذ بداية استهداف الإرهابيين لسورية بوحدتها وأمنها واستقرارها، والأهم لمشروعها الوطني القومي المقاوم والممانع، فإن لبنان دخل في دائرة الخطر الحقيقي، وأصبح في تماس مباشر مع الأزمتين السورية والعراقية بل في قلب نارهما المشتعلة والتي يزداد سعيرها ويتوسع مداها عند كل محطة أن انعطافة إيجابية، أو محاولات متواضعة لإطفائها أو التخفيف من وهجها الملتهب وضبط خطرها وتأثيرها، لأن المخطط الإرهابي المرسوم على خريطة المخططين والمشغلين والمموّلين لهذا الإرهاب، ما زال قائماً ونائماً في أمكنة قد تكون معروفة على مساحة لبنان، وفي مناطق ربما تشكل بيئة حاضنة أو مخترقة لأهداف وحسابات وسياسات محلية وإقليمية ودولية، أو لرفعها عناوين وشعارات مشبوهة غرائزية طائفية أو مذهبية، حولتها إلى «شماعة» لتبرير سلوكها الإرهابي وتحقيق «أجندة» مشغليها.

ليس صحيحاً أن الإرهاب عاد ليضرب لبنان من جديد، فهو أساساً لم يغادره. قد يكون انكفأ أو خبى فعله بعد أن تمكنت منه الأجهزة الأمنية وتحديداً الجيش الذي نجح في قصقصة أجنحة الإرهابيين ووأد مخططاتهم الإرهابية قبل أن يتمدد وجودهم وخطرهم. وقبل أن يطلوا برؤوسهم الإرهابية المسمومة وتبثها لتقطيع أوصال الوطن أو تبخها في أجساد اللبنانيين الأبرياء من دون تمييز بينهم، طائفياً أو مذهبياً أو مناطقياً.

هذه الخلايا النائمة في أحضان المتآمرين على لبنان استفاقت من جديد لتستكمل مشروعها الإرهابي الفتنوي، ولتعيد خربطة الأوضاع ومحاولة قلب المعادلات والموازين، وهز الاستقرار الأمني، ولإعادة تخويف اللبنانيين وإرهابهم من خلال رسائل دموية جديدة أرادت عبرها أيضاً أن تقوض تفاؤل اللبنانيين بقضاء صيف هادئ ومستقر، وبسياحة مزدهرة مختلفة عن سابقاتها، لطالما تاقوا إليها بعد طول معاناة وجفاف بشّرتهم فيها وزارة السياحة مستندة إلى حجوزات الطيران المدني إلى لبنان، وكذلك الفنادق التي بلغت حجوزات غرفها أكثر من المتوقع أعادتها إلى سنوات العز السياحي.

وراح اللبنانيون يأملون ويحلمون بالفرح الآتي بعد طول غياب، ومن حقهم أن يتلقفوا بوادر الخير والتفاؤل في مستقبل وطنهم الذي سيرسوا بعهد طول ألم ومعاناة وحروب على شاطئ الأمان والانتعاش والاستقرار والسلام، بعد أن تم استئصال الإرهاب من جذوره، ولم تعد السيارات المفخخة والعمليات الانتحارية الإرهابية مصدر قلق وخوف على الحاضر والمستقبل والمصير. إن ذلك التفاؤل بتباشير السلام الآتي، مشاعر وطنية سليمة وواقعية ومحقة يصلح الاعتماد عليها إذا كان لبنان في منأى عن صراعات الدول، وتقاطع مصالحها، وخارج أزماتها. ويملك القدرة على منع ارتداداتها وتأثيراتها السلبية التي لا تعد ولا تحصى، عندها يحق للبنانيين أن يركنوا إلى الاطمئنان والأمان والخروج من القلق الذي ينتابهم باستمرار. ومن الخطأ والخطر في آن أن نعلّق الآمال والأحلام بالاتكاء فقط أو إقناع أنفسنا بأن لبنان يعيش في جزيرة منعزلة عما حولها، وهو سيد نفسه، والداخل إليها أياً يكن سيقع في حقل ألغام لن ينجو منه أحد. فهذا حكماً خطأ فادح وتفكير متهوّر، ومكمن الخطر فيه الوقوع في فخ التحليلات والسياسات الهشة. وللأسف فإن كثيراً من المسؤولين والسياسيين على اختلافهم اعتمدوه نهجاً وأسلوباً أداروا بهما سياسة هذا البلد، ومنذ ما قبل استقلال لبنان الممنوح، فأنتج وطناً لم تكتمل بعد عناصر وجوده وثباته. وقد يكون غير قابل للحياة الطبيعية المرجوة، إذ يتنفس أبناؤه بـ«رئة» الآخرين الذين يقطعون الهواء والأوكسجين عنه أو بث الروح والحياة المصطنعة فيه متى شاؤوا وأرادوا.

هذا اللبنان «ذو الوجه العربي» لم يستفد مسؤولوه وحكامه الذين تعاقبوا على إدارة شؤون اللبنانيين من تجارب الحكام الناجحين الذين ارتقوا بدولهم ورفعوا من شأنها، وثبتوا دعائمها على خريطة الدول القوية المتماسكة المتمسكة بقيم العدالة والحق والحرية والمواطنية الصحيحة، ولم يحاكوا الحضارات ويستثمروا الطاقات والعلاقات الدولية المفتوحة، وينطلقوا بهذا البلد إلى حيث يجب أن يكون بين الأمم والشعوب، مع أن أبناءه المنتشرين في العالم نجحوا كأفراد ومؤسسات خاصة وأبدعوا وتفوقوا في مجالات مختلفة. والأسوأ من ذلك أن حكام لبنان في عهود تعاقبت لم يتعظوا من الحوادث والظروف القاسية والأليمة التي شهدها لبنان ولا تزال متحكمة في واقع وعقول وسلوك من تسلق سلم المسؤولية والسياسة بعد كل ما حدث ويحدث من حروب وصراعات ونزاعات وكأنها مسلسل طويل بحلقات لا تنتهي، يقطف اللبنانيون ثمارها المسمومة التي سممت الجسد اللبناني برمته من دون الوصول إلى الخواتيم السعيدة.

بطبيعة الحال، فإن المشهد اللبناني الراهن بكل ما فيه من مأسوية وسوداوية وهواجس مخيفة على المصير، لم يأتِ من عدم أو فراغ، بل هو نتاج لعقم النظام السياسي الطائفي وفشله وتحجره الذي من مواصفاته ونتائجه هزالة في الاستقرار السياسي والأمني المصطنعين والتعايش الطائفي الملغوم على رغم الفسيفساء المبهرة التي تلوّن لوحة اللبنانيين شكلاً من دون معنى، أو التعبير عن العلاقات الملتبسة التي تحدد مصيرها ومسارها «العروق الدساسة» والجذور المتعفنة وامتداد فروعها إلى خارج أسوار الوطن طلباً للحماية والرعاية والدعم ولتحقيق المكاسب.

هذه الصورة عن لبنان الحضارة والانفتاح و«نعمة» الطوائف فيه ونقمة الطائفية، تمظهرت بشكل واضح في حقبة تاريخية امتدت لما يقارب الربع قرن شهد خلالها لبنان فورة أو طفرة نهضوية وتنموية في مرافق ومؤسسات ومناح مختلفة، أظهر فيها أن له مكاناً على الساحة وبين الدّول الأكثر تطوراً وانفتاحاً، وتمثّلت بالقطاع السياحي وبالخدمات السياحية على أنواعها، التي جذبت السياح العرب، وجعلت من لبنان «مربط خيلهم» الاصطيافي والسياحي، وللتنعّم بخدمات سياحية إغرائية وجاذبة، وفعلاً وجد السياح من أشقائنا العرب ضالتهم في هذا البلد ومحط رجالهم. واستحق لبنان في تلك الحقبة أن يطلق عليه زوراً أنه «سويسرا الشرق». هذه المقارنة المقصودة والمشكوك فيها أرادها البعض «كلاشيه» براقة للإيحاء بأن لبنان هو في مثابة الفردوس لما يتمتع به من وفرة في الماء ولذة في الكلأ (الغذاء) والأهم «الوجه الحسن» إذ طارت آنذاك شهرة اللبنانيات الجميلات اللواتي تربّع بعضهن على عرش الجمال العالمي.

وتشبيه لبنان بدولة السلام سويسرا، هدفه التدليل على العصر الذهبي لهذا البلد الصغير الذي يغرد وحيداً وفي منأى عن سرب العرب الطائر على غير هدى، والذي تتآكله الصراعات والفوضى والانقلابات العسكرية وانعدام حقوق الإنسان وفقدان حرية الرأي والتعبير.

وكان لبنان يفاخر بأن لا أحد من الدول العربية ومنها من يمتلك ثروات طبيعية ضخمة (النفط) يشبه لبنان لأنه ليس لديهم بحراً كبحره ولا جبلاً كجباله ولا مناخاً كمناخه، ولا هواء عليلاً كهوائه ولا لذة كمأكولاته.

وبما أن النعَم لا تدوم، ما لم تجد من يصونها ويحافظ عليها، ويركّز دعائمها، ويؤمّن عناصر استمرارها وديمومتها. وبما أن مداميكها لم تبن على أسس الولاء للوطن والانتماء إليه من دون سواه، ولأنه لا يمكن لأي نظام سياسي أن يبنى على الشراكة المشوهة وغير القابلة للحياة والاستمرار، وتستمد وجودها و«قوتها» من وصاية من هنا أو رعاية من هناك أو انتداب من هنالك إلى آخر المعزوفة المعروفة، فإن لبنان تحول بفعل ذلك إلى مضرب عصا وحقل تجارب أمنية وعسكرية واستخبارية تصول وتجول، ما أدى إلى الانهيار بعد أن انكشف المستور المزور، فاهتزت صورته وانمحت «إشراقة سويسرا» ووقع لبنان في مجهول أفخاخ الصراعات والانقسامات والفتن المتنقلة والحروب الموقتة والدائمة وفي شباك مصالح الدول القريبة والبعيدة وما بين بين. بالتالي لم يعد برأي البعض مكاناً آمناً أو ملاذاً للملذات أو واحة للسلام ولا موئلاً للباحثين ولو عن «مرقد عنزة»، فبدَّل السياح العرب وجهتهم، وهجره أبناؤه حتى امتلأت بهم مدن وساحات المئات من دول العالم، وافتقد إلى علمائه ومثقفيه وأدمغته المبدعة. وإلى عصب حياته وتطوره وازدهاره قوافل الشباب التي هاجرت تتنقل مثل الطيور المهاجرة الباحثة عن الأمان والحياة الكريمة حتى قيل يوماً «إن هناك في العالم الواسع تجد لبنانياً تحت كل حجر وكل شجرة».

وبدلاً من أن يجهد اللبنانيون وفي مقدمهم المسؤولون في الدولة والسياسيون وقادة أحزابه وتياراته وطوائفه وتنظيماته المختلفة في صون لبنان وحمايته واحتضان أبنائه، انصبت جهودهم على صناعة الخلافات وتأجيج الصراعات والضرب على أوتار الطائفية والمذهبية ليس من أجل الوطن فحسب، بل لتحقيق مشاريع سياسية ومصالح شخصية وتقاسم النفوذ. ونعترف لهم أن البعض منهم نجح في استيلاد الفتنة وإطالة عمر الأزمة وتدعيم أوتاد الطائفية والمذهبية البغيضة وشد رباطها بجمهور اللون الواحد الذي تسمَّر في ولائه السياسي وانتمائه الطائفي، فكبرت كرة ثلج الانقسام وتحولت بفعل التعبئة والزمن إلى كرة من نار أحرقت البشر والشجر والحجر، ولم تنفع في إطفائها مساع عربية وإقليمية ودولية ولا اتفاقيات ومؤتمرات (الطائف والدوحة)، فظلت النفوس هائجة والطوائف جامحة، والمصالح طاغية. ولم تنجح حكومات التوافق والوحدة الوطنية والمصلحة الوطنية في التهدئة والعبور بلبنان إلى دولة قادرة عادلة توفر الحد الأدنى لرعاياها من الاستقرار والعدالة والحرية، بل ظل لبنان عصياً على الأمن والسلام، وقد جُربت فيه كل الحلول المنقوصة التي بدل أن تشفيه عمقت من جراحاته، فلم تنفع الزيادة غير المعقولة وغير المبررة لعدد النواب، وهم كثر بالنسبة إلى بلد بحجم سكانه. كما استحدثت عدداً من الحقائب الوزارية زادت أعداد الوزراء كجوائز ترضية واطمئنان للأقليات التي لا يزال بعضهم خارج صنع القرار والفعل والتأثير.

إن لبنان اليوم غارق في الأزمات التي لن تجد حلاً لها في المدى القريب، وهي تنتظر الترياق ليس من أزمة العراق، بل لأن مصيره أصبح مرتبطاً ومقيداً بالتفاهمات وبتقاطع المصالح الإقليمية والدولية، وليس في الأفق حتى أمل في إنجاز الاستحقاق الرئاسي، ولا في إنتاج قانون انتخابي جديد، لأن المحتمل أن يمدد مجلس النواب لنفسه مرة ثانية، ولا هناك من اتفاق أو تسوية معينة لسلسلة الرتب والرواتب وغيرها الكثير من الملفات المجمدة والمؤجلة والمتراكمة التي تفاقم معها الخلافات والانتظار الطويل القاسي.

لبنان اليوم كما بالأمس يتعرض لهجمة إرهابية خطيرة أحوج ما يكون فيها إلى تفاهم وحوار لصدها والحؤول دون اتساع دائرتها، لأن الهيكل إذا سقط سيتشظى منه الجميع ولن ينجو منه فريق أو طائفة أو مذهب، أو قائد سياسي.

السؤال: متى يستفيق الأفرقاء من كبواتهم التي أرهقت اللبنانيين أمنياً وسياسياً واقتصادياً ومعيشياً؟ ومتى يتحمل المسؤول مسؤولياته الوطنية، ويزيح الكابوس الجاثم على صدور اللبنانيين الذين يدفعون الأثمان الباهظة جراء خلافاتهم العقيمة ورهاناتهم الساقطة سلفاً؟ أم أنه لا حياة لمن تنادي!

على رغم هذا السواد الحالك الذي يغطي لبنان، فإن الأمل والتفاؤل المعقودين على المؤسسة العسكرية والأجهزة المنية وحرص العقلاء والحكماء والقيادات في هذا الوطن وكما يقال «إن خليت خربت» كفيلان بإخراج هذا الوطن من ظلام النفق إلى النور.. ولو بعد حين.

للعروبة صوت العقل والحكمة فهل أضعناه؟

الفتنة نائمة... لعن الله من أيقظها!

■ أبو بكر صالح ـ عدن

لم تكتف بعض دول الجوار من حرق وتدمير العراق وبنية الدولة برمتها فحسب، بل رفعت صوت الفتنة النائمة وسخرت كل المآذن والمنابر للنفخ في كيرها؟ تحت ادعاءات كاذبة ورخيصة الهدف منها إشعال الفتن في كل أرجاء الوطن العربي، ولا يظن أحد أن مصر أو السودان أو موريتانيا أو الجزائر أو الصومال في منأى منها؛ كما لا تظن أنها أي التي غذتها ودفعت بها ستكون في بعيدة عن جلاميذ لهبها؟

منذ فترة والسعودية على وجه الخصوص تعبث بأمن دول عربية وتعيث فساداً بشعوبها بأموالها القذرة التي سخرتها لزرع الدمار والهلاك ولم تتوانَ في إلباس باطلها بلباس الدين والورع والتقوى الزائفة والمضللة. فما يجري في اليمن خير مثال حي لعبثيتها واستهتارها مع خنوع حكومي وشعبي وذل لا يوصف وهو ما تريده تلك الدولة القادمة من غياهب الجاهلية الأولى وإرثها الحافل وبالخساسة والنذالة وانعدام الضمير.

لم تجد أحد يردعها أو يوقفها عند حدها لأن شعوب المنطقة لا تزال تفضل تعاطي أفيون ماركس في ذلك التحذير الذي أطلقه قبل أكثر من قرنين من الزمان ولم تعه البشرية ليس لأنها «مغيّبة» الوعي أو الضمير ولكنها أمة اعتادت أن تمارس الخساسة والذل والارتهان كفريضة غائبة!! ورثتها من معاوية ومن سار على هديه؟

هذه المملكة المتهالكة التي تفتقر إلى أبسط القوانين والدساتير التي تنظم المجتمع فيها ولا تملك دستوراً للدولة كباقي البلدان وأرهقتنا ليل نهار بزعمها الكاذب والزائف والمخادع من أن دستورها وقانونها (شرع الله) ولم نجد ما يبرهن تلك الادعاءات أو المزاعم غير وعاظ الجوامع والمساجد الذين يقتاتون على فتات يتصدق به لهم أبناء العائلة الحاكمة وكل طوابير الزفة تهلل لإكرامياتهم الذليلة، بينما ما ينفق أفراد الأسرة المالكة لا حسيب له ولا رقيب وكأنهم يملكون شرع الله هم وحدهم ولا أحد يسمح له بذلك وهم يستمدون شرعية هذا التجبر والتكبر على العباد والبلاد من يزيد؟ وكل من يطبق فيهم ذلك (الشرع!!) هم من عامة الناس ومن المغتربين والعمالة الأجنبية التي تئن تحت وطأة الذل والامتهان لقاء لقمة عيش كريمة!! أما هم فإن الله قد اختصهم بالكمال والمال كما اختص بشعب الله المختار؟

في الأمس هيجوا العالم وفتحوا أجواءهم وموانئهم وكل امكانياتهم لضرب «الطاغية صدام» واليوم يترحمون عليه في أغرب خساسة تسمعها أذن الإنسان العاقل؟ (كمن يقتل القتيل) ودُمّر العراق عن بكرة أبيه وبدعمهم المالي واللوجستي والإرهابي وبفتاوى لاهوت سلطانهم ومن فوق المنابر وصدق عامة الناس تلك الأكاذيب وكبروا في جهاد لم ولن نسمع به في فلسطين على الإطلاق.

واليوم يهيجون هذه الشعوب الغبية والحمقى بفتنة الطائفية القذرة ليعيدوا إنتاج احتلال العراق وسورية هذه المرة من جديد بعد أن فشل رهانهم على إسقاط الدولة السورية حيث جن جنونهم ظناً منهم أن مالهم القذر والنجس سيحقق رغباتهم الخسيسة في القضاء على سورية ونظامها العلماني. وعندما استشعروا بخيبة أملهم في سورية حولوا البوصلة باتجاه العراق الذي بدأ يخطو أولى خطواته نحو طريق الديموقراطية الحقيقية ما يهدد عروشهم و«جيوشهم» ويعجل بزوال ملكهم الرث؟

ومما لا شك فيه أن العراق على رغم الجراح ونيران الفتنة والدمار وما خلفته نيران تلك الفتنة التي يضرمون نيرانٍ حقدهم لإذكائها إلا أنه قد بدأ يستوعب حقيقة تلك الفتنة وما ترمي إليه مدركاً بعين العقل أن العراق بتجانس أبنائه وتكاتفهم وتجاوزهم النظرة الطائفية الضيقة والقذرة سوف ينطلقون لبناء عراق موحد متعدد الطوائف والمذاهب والأعراق من تحت الركام وهو ما يقض مضاجعهم ويهدد ملكهم المبني على الزيف وعن طريق الخداع؟. وما داعش إلا نتاج إخفاقهم وفشلهم الذريع. أضف إلى كل ذلك وجود الخيانة من أبنائه، وللأسف من الطائفة السنية وكذا بقية الطوائف لأن طبع العرب الارتزاق مهما زعمنا عكس ذلك.

كل الدمار الذي لحق بسورية والعراق تقف وراءه تلك الأنظمة الملكية الفاسدة، فكلما حل دمار أو اشتعلت نيران الفتنة فتش عن المال الخليجي والسعودي بالذات؟ وكل ما جرى ويجري في اليمن تقف وراءه تلك الأسرة بالذات وينفذ أجندتها ضعاف النفوس ومرتزقة الزمان متأسلمون بلا إسلام من أبناء اليمن أنفسهم... مع رضى شعبي عجيب! يدعو للاحتقار والاشمئزاز والقرف؟

الدور الأميركي في الحرب السادسة على الحوثيين...

■ علي القحوم

كشف معهد RAND عن مشاركة أميركا في الحرب السادسة مع الحوثيين في تقرير كتبه بارك سالموني وهو عالم في الشؤون السياسية يعمل لدى مؤسسة البحث الأميركية RAND للدفاع القومي وشارك في التقرير معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى بتاريخ 13 تموز 2010... فعند قراءتي لإحدى الترجمات لتقرير مطول نشره معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى RAND باسم «حرب اليمن الأبدية» فذكر هذا التقرير دراسة مفصلية ودقيقة عن الحوثيين في شتى النواحي المختلفة ومن أهم النقاط التي ذكرها التقرير هي إمكانيات الحكومة وإمكانيات الحوثي فقارن بين القوى الحوثية وقوى السلطة حيث قال إن السلطة تمتلك أعداداً كبيرة من الأسلحة الثقيلة... ولكنها مبنية على التجنيد وغير مسلحة بشكل متساو على رغم زعم الحكومة اليمنية بأنها التزمت لأميركا بشن عمليات التدمير المضبوطة والدقيقة ضد أهداف حوثية قد صورت عبر الأقمار الاصطناعية وطائرات الاستطلاع... وذكر التقرير أنه بعد فشل السلطة اليمنية والسعودية في ضرب هذه الأهداف في شمال اليمن حينها، تدخلت الطائرات الأميركية وقامت بالقصف لتلك الأهداف التي أسمتها بالعمليات المضبوطة والدقيقة، فنفذت فعلاً هذه العمليات من قبل قوات الطيران الأميركي من القواعد والأساطيل التي تكمن في البحر الأحمر وخليج عدن حيث صار ضحية هذه العمليات النوعية من المواطنين العزل ما يقارب الألف قتيل. وعلى صعيد آخر صرح قائد القوات الأميركية في الشرق الأوسط لوسائل الإعلام أثناء الحرب السادسة حيث قال: «إنهم لم يأتوا من أجل الملاحة والقرصنة وإنما أتوا من أجل قطع الإمدادات التي تأتي للحوثيين من البحار».

وكذلك تطرق التقرير إلى أن الحوثيين ينتمون إلى الطائفة الزيدية، فقال إنه من الخطأ تسمية الحوثيين بالحركة الشيعية فقط لأن الحوثيين هم زيديون... فعرف تنظيم الحوثي بحسب اعتقاد الأميركيين بأنهم حركة منظمة ملتزمة ولا يريدون انتزاع السلطة من الحكومة اليمنية فيخوض الحوثيون الحرب كخلايا مبنية على النسب وروابط الشبكة الاجتماعية الموصولة بالثقة ويقاتلون على أقاليمهم الخاصة، وهم منظمون بشكل متراخ... كما تطرق التقرير إلى أنه لم يوجد دليل صامد حول المساعدات الإيرانية الخفية للحوثيين الذين لا يحتاجون للبحث عن أسلحة صغيرة من إيران لأن الأسلحة موجودة ومتوافرة بشكل جاهز في اليمن، فأسواق السلاح مليئة وتعج بالأسلحة المتنوعة الخفيفة والمتوسطة... وأما من شأن الأسلحة الثقيلة التي يعرضها الحوثيون في مقاطع فيديو يوزعها مكتبهم الإعلامي على وسائل الإعلام المختلفة فقد استولوا عليها من مواقع تابعة للجيش اليمني، وكذلك من مواقع تابعة للجيش السعودي التي دخلت في أثناء الحرب السادسة المسماة بالأرض المحروقة.

هنا كان مشهد الحرب السادسة مؤلماً والتضحيات كبيرة جداً والخسائر من قبل الأميركيين والسعوديين والنظام اليمني فوق الخيال والمتوقع، حيث أجلى النظام السعودي أكثر من 450 قرية بعد أن فشل في حسم المعركة وكثف من القصف بالمدفعية والطيران، فقصف بأكثر من 71 ألف صاروخ وقذيفة أطلقها باتجاه الأراضي اليمنية وأكثر من 5 آلاف غارة جوية شنتها الطائرات الأميركية والسعودية واليمنية على شمال اليمن، فكانت الحرب السادسة حرباً بما تعنيه كلمة حرب حيث شرد أكثر من ربع مليون نازح ودمرت الآلاف من البيوت والمزارع وطال أمد الحرب وتجلت أشياء كثيرة جداً حيث أن أبناء المناطق الشمالية صمدوا أمام هذه القوى الكبرى التي تمتلك كل الإمكانيات التكنولوجية المتطورة...

وحينما أدرك الأميركيون أن مسار الحرب لا يخدمهم لا سيما بعد صمود الحوثيين في الحرب وأن إطالة مدى الحرب ليس في مصلحتهم فسارعوا في وقف إطلاق النار، وأوعز الأميركيون المهمة إلى معهد أبحاث الدفاع القومي «راند» على أن يقوم هذا المعهد بتقديم دراسة مفصلة لكل الجوانب السياسية والإعلامية، والثقافية والعسكرية والاجتماعية للحوثيين... لما من شأنه الاستفادة من الدراسة للمحللين الاستراتيجيين والاستخبارات والمخططين العسكريين المعنيين بأمن شبه الجزيرة العربية واليمن والقرن الأفريقي.

رعت هذا البحث دائرة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في وكالة الاستخبارات الدفاعية وتمت إدارة وتنفيذ البحث من قبل مركز السياسة الاستخباراتية في معهد أبحاث الدفاع القومي «راند»، وهو مركز أبحاث وتطوير مموّل فيدرالياً يرعاه مكتب وزير الدفاع، رئاسة هيئة الأركان، قيادة الأركان فيلق المشاة البحرية، وكالات الدفاع، وهيئة الاستخبارات الدفاعية. كما أن هذه الدراسة ليست بحثاً عادياً لأغراض أكاديمية صرفة أو لأغراض النشر فحسب، بل هي دراسة مفصلة عن جماعة الحوثي في شمال اليمن يغلب عليها الأسلوب الاستخباراتي، فيقدم هذا البحث رؤية تحليلية استخباراتية كاملة حول جماعة الحوثي لكي يستفيد منه صناع القرار والساسة في البيت الأبيض.

وبالتالي استنتجت هذه الدراسة أشياء كثيرة عن صمود الحوثيين في الحروب الست، وبالأخصّ الحرب السادسة، لأنها كانت حرباً بيولوجية متطورة استخدمت فيها الأسلحة المتطورة والتقنيات الحديثة ومن ضمنها أن لدى الحوثيين منهجاً ثقافياً قوياً منبثقاً من القرآن الكريم، ويحظون بقيادة تمتلك الخبرة والحنكة والذكاء في التعامل مع كل الظروف، حيث استطاع السيد عبدالملك الحوثي أن يدير الحرب السادسة عسكرياً وسياسياً وإعلامياً، فالرجل يتمتع بحنكة سياسية وتكتيك عسكري متميز وكأن الحروب الماضية علمته أشياء كثيرة، فالتجربة التي خاضها في السنوات الماضية كانت كفيلة بأن يستفيد منها، فجعلته رجلاً قوياً وعبقرياً ومخططاً عسكرياً ورجلاً سياسياً مخضرماً من الطراز الأول... لا سيما تعامله مع مؤتمر لندن والذي استبق المؤتمر بخطوات ذكية وسياسية مما جعلت المؤتمر يفشل ويخرج المؤتمرون بخفي حنين.

وفي سياق الخطوات التي ساعدت الحوثيين على الصمود بحسب دراسة «راند» هي القاعدة الشعبية والنسيج الاجتماعي المترابط التي تحظى به جماعة الحوثي والذي تحدثت عنه هذه الدراسة بشكل كبير وأخذت حيزاً كبيراً من هذه الدراسة. هنا الساسة في البيت الأبيض حبذوا أن تقف الحروب الرسمية والنظامية ضد جماعة الحوثي في شمال اليمن حتى يعدوا خططاً جديدة لتفكيك القاعدة الشعبية والنسيج الاجتماعي. وإذا استطاعوا إصراف الحوثيين عن ثقافتهم القرآنية التي يحملونها، ويتأتى ذلك ضمن مسلسل تآمري يستهدف أبناء المناطق الشمالية.

حينها سارعت أميركا بتغيير سفيرها في اليمن بعد الحرب السادسة واستبداله بسفير يهودي الأصل «جيرالد فايرستاين» يمتهن ميزة التفريق وخلخلة المجتمعات المسلمة، ويجيد التلاعب بمثل هذه الملفات والقضايا الاجتماعية. فعمل السفير الأميركي على المستوى الإعلامي والسياسي، فتلاعب بالورقة القبلية والطائفية والتفجيرات، ولم يترك أي عمل يستهدف فيه اليمنيين ككل إلا وعمله. ولكن وعي الشعب اليمني أعاق كل مؤامراته وخططه الشيطانية وافتضحت أدواته المحلية، وكذلك تحركت أميركا على المستوى الاستخباراتي والمعلوماتي ونشاط الطائرات التي تحلق دائماً وبشكل مستمر في سماء المحافظات الشمالية وجهزت غرفة عمليات داخل سفارة أميركا بصنعاء لمتابعة كل الإعمال الاستخباراتية والميدانية. فالمؤامرات الأميركية السعودية التي تستهدف أبناء المناطق الشمالية لم تكن وليدة يومها بل هي ممتدة منذ بداية تحرك الشهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي رضوان الله عليه في عام 2002 عندما تحرك وذكر الناس بالقرآن الكريم ورفع شعار البراءة «الله أكبر الموت لأميركا الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود النصر للإسلام»، ودعاء إلى مقاطعة البضائع الأميركية والإسرائيلية وإلى رفض السياسات الاستعمارية الصهيو أميركية.

ويرى مراقبون أن أميركا يراودها القلق الكبير ويقض مضاجعها تزايد القاعدة الشعبية والنسيج الاجتماعي لجماعة الحوثي، لاسيما مشاركتهم النموذجية والسلمية في الثورة الشعبية، فرهانهم على تفكيك القاعدة الشعبية والنسيج الاجتماعي الذي تحظى به جماعة الحوثي في شمال اليمن باءت بالفشل ومنيت بالخسران وتحطم كل ما تمنوا به، وذلك بصمود أبناء المناطق الشمالية أمام هذه المؤامرات وكذلك وعيهم القرآني وتمسكم به جعلهم يدركون الخطر المحدق باليمن الآتي من البحار من تلك الفرقاطات والغواصات والبوارج والقطع العسكرية الأميركية التي تكمن في البحار والجزر اليمنية وباب المندب.

alialsied@gmail.com

الجميع سيذهب صاغراً أو راضياً إلى التشبيك

■ طاهر محي الدين

إن لم نستطع صرف إنجازاتنا على الأرض فلا قيمة استراتيجية لها ولا معنى، وأن ما يقوم به الأعداء هو تفريغ الانتصار من مضمونه وقيمته ليخفف من وطء الهزيمة عليه مثلما حدث في تموز 2006 عندما حرض أذنابه في لبنان على تشويه انتصار حزب الله في الحرب، وكما يفعل اليوم في سورية وعدم اعترافه الظاهري بانتصار الأسد مع ظهيره في المقاومة اللبنانية في المعركة وتكريسه زعيماً للمنطقة بعدما سحقهم السوريون في انتخابات العصر وبعد صمود الجيش العربي السوري، وكان قبله الفوز المبين أيضاً للمالكي في الانتخابات العراقية، وتقدم إيران في المفاوضات النووية.

المشكلة دائماً نقول إننا نحن من انتصر في العراق، ولكن لا أحد يقول من نحن؟ ويفضح الأميركي ويزيد في إراقة ماء وجهه، هنا التساؤل الكبير، أليس من باب تظهير هذا الانتصار والقوة هو الإعلان عنه وإعلان تشكيل هذا الحلف القوي الممتد من طهران إلى الضاحية الجنوبية بشكل علني ورسمي كما هي حال أحلاف بريكس وشنغهاي الذي هز الأميركي وأذنابه؟؟ أوليس أيضاً من أقوى نتائج الحرب في سورية هو ظهور التمازج القوي والمتين والخارق لعمليات الجيش العربي السوري النظامي مع حزب الله الذي يستخدم أسلوب حرب المدن وقد أرست هذه التجربة قاعدة تحول الجيش النظامي مع ظهيره إلى جيش قادر على خوض أنواع عدة وصعبة من الحروب وعلى عدة جبهات وقادرة على تنفيذ أقسى وأعقد التكتيكات التي لا تمتلكها كل جيوش العالم؟ ألم تكن هذه التجربة هي أكثر ما أرهب الصهيوني والأميركي من هذا التمازج القوي على أنه رسالة كبرى للمقدرة على خوض حرب المدن وتحرير المدن الفلسطينية في المعركة المقبلة؟

بعد ما حصل في العراق ربما يمكننا القول مجازاً شكراً داعش لأنك استطعت تظهير نوع من هذا التحالف ولو كان ضمنياً حتى الآن بين دول هذا المحور المقاوم، والذي يجب أن يتم الإعلان عنه الآن في هذا اللحظات التاريخية والتي لا يوجد وقت ذهبي أكثر من هذا الوقت.

وبتوسيع فتحة الفرجار ليغطي كل المنطقة الممتدة من العراق مروراً بالأردن، ومملكة الرمال وباقي دويلات الخليج الفارسي الأعرابية إضافة إلى تركيا، وهنا نقول إنه لا يمكن وتحديداً «لآل سعود والسلجوقي العثماني» أن يستمروا بصدم رؤوسهم بالجدار الفتنوي والتدميري، واتباع غرائزهم الحاقدة في إدارة ملفات المنطقة، على مبدأ يا قاتل يا مقتول، بعد أن خلعوا كل أقنعتهم الإجرامية الإرهابية، وإن استمرارهم في خطابهم وسلوكهم الفتنوي والطائفي، وتسمين العجل الإرهابي لتحقيق انتصارات وهمية على الأرض، ولو كانت على حساب تدمير المنطقة بأكملها، والتي لا تخدم إلا مشروع إعلان يهودية الدولة المزعومة في فلسطين المحتلة وإلى إضعاف كل الدول العربية المحيطة بالكيان الصهيوني وتدميرها، لضمان أمنه، وعليهم أن يدركوا تماماً أن تكبير الوحش اليوم واستخدامه كأداة لتحقيق إجرامهم، سيصل بهم إلى نتيجة حتمية ومؤكدة هي أنهم لن يستطيعوا أن يسيطروا عليه لاحقاً وسينقض عليهم لا محالة عندما يفرغ من تدمير جيرانهم، الذين كانوا يشكلون جداراً في المنطقة لحمايتهم وحماية المنطقة بشكل كامل، لأنهم ساعتئذ سيبقون وحيدين في مواجهة خطره وتنامي أطماعه، وأن ما دبروه لتقسيم وتدمير المنطّقة لحفظ دورهم بحسب ما كانوا يظنون سيطاولهم حتماً.

وبالتالي لا حل أمام الجميع في دول المنطقة والإقليم للحفاظ على كياناتها موحدة ومستقرة، وتظهير نفسها كقوة عالمية كبرى إلا بـ التشبيك في ما بينها « إيران – العراق – سورية – لبنان – تركيا – ودول مجلس التعاون الخليجي – ومصر» والترفع عن الأحقاد والعمالة وتسعير حروب لا تخدم أحداً إلا الكيان الصهيوني والدولة المزعومة التي تسمى بدولة الخلافة الإسلامية والتي تقود داعش الوهابية عملية تكوينها وجعلها حقيقة وواقعاً.

وإن التشبيك بين هذه الدول وتشكيل قوة صاعدة تسيطر على النسبة العظمى من مصادر الطاقة في العالم من الغاز والنفط والثروات الطبيعية مع الانتباه إلى أن هذه المنظومة تتمتع بموقع جيو استراتيجي يربط العالم والبحار الخمسة.

والتشبيك بين هذه الدول هو الذي يحقق مصالح شعوب هذه المنطقة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وجعل هذه المنظومة واحدة من أهم مراكز صنع القرار بالعالم مع تعاونها وترابطها مع مجموعة بريكس ومنظومة شنغهاي وعلى رأسها روسيا القطب العالمي العائد بقوة القيصر والصين العملاق الاقتصادي الجديد.

وبالمحصلة فإن التشبيك بين هذه الدول، والتعاون على كافة الأصعدة الأمنية والعسكرية والاقتصادية، وصولاً ربما لتشكيل فيدراليات في ما بينها سيكون الحل الوحيد والأمثل للعبور إلى خريطة العالم الجديدة، وتظهير الأقطاب وصرف نتائج الصمود والانتصار على الأرض لتحقيق واقع العالم المتعدد الأقطاب، كلٌ قطبٌ في منطقة نفوذه.

أو فليذهب الجميع للاشتباك ولننتهي جميعاً.